هذه القبائل المسلمة من المظالم التي وقعت عليهم في عهد ستالين وانهم قد ثاروا اخيرا في وجه السلطات الصينية التي منعت عليهم دينهم ولغتهم الوطنية

* * *

ومن الجدير بالذكر ان ثمة عشرات الملايين من المسلمين في كل من الصين والاتحاد السوفيتي ، والمناطق التي يسكنها المسلمون كانت فيما مضى جزءا من ممالك آسيا الوسطى الاسلامية ذات التاريخ المجيد . ولا يزال المسلمون يذكرون بحسرة دائمة افول دولة المغول العظيمة وقد خلد في التاريخ الاسلامي مشاهير من الرجال الذين نشأوا في بخارا وسمرقند ونيسابور.. وهل ينسى المسلمون ابد الدهر البخاري ومسلم وغيرهما من رجال الفكر والعلم !

لقد شهد القرن التاسع عشر تمزق اوصال الدولة العثمانية ، وهو قرن التوسع الاوربي والروسي ، فبينما تكالبت الدول الاوربية على افريقيا وبلاد البلقان ، طفقت روسيا تتوسع جنوبا وشرقا في اسيا وهكذا ضمت اليها اكثر المقاطعات الاسلامية .. وجاء القرن العشرون وشهد اوله انهيار الخلافة الاسلامية ووقوع اكثر بلاد الاسلام في قبضة الاستعمار .

واستطاعت جل البلاد التي آلت الى الاحتلال الغربي ان تنال استقلالها بعد فترة من الزمن وبقيت البلاد الاسلامية الواقعة الان خلف الستار الحديدي ، وقد ضمت الصين اليها مناطق شاسعة من البلاد الاسلامية .

والموقف الراهن ان المسلمين في الاتحاد السوفيتي والصين يعانون ابشع انواع الاضطهاد الذي عرفه التاريخ . فالشيوعيون يبذلون جهودا جبارة لمحو العقيدة الاسلامية من تلك البقاع وذلك بفرض المناهج التعليمية المناهضة للفكرة الدينية مع منع تعليم الدين . وكنا في الماضي اذا تحدثنا عن اضطهاد المسلمين بالصين والاتحاد السوفيتي رد علينا عملاؤهم في بلادنا بأن هذا الكلام دعاية ضد المعسكر الاشتراكي ، وقال آخرون من السذج ان روسيا بها مساجد وان الشعائر الدينية مسموح باقامتها .

واخيرا ظهر بوضوح ان المسلمين يجتازون محنة قاسية ، والمصدر هذه المرة اذاعة بكين وموسكو فقد اذاع راديو موسكو لاول مرة ان المسلمين في الصين في اقليم سنكيانغ المتاخم للاتحاد السوفياتي يعانون اضطهادا عنيفا . وتؤكد موسكو ان عشرات الالاف من المسلمين اضطهروا للهروب من وطنهم بسبب الاضطهاد الديني العنيف ، ورد راديو بكين على ذلك بان الاتحاد السوفياتي اوعز للمسلمين بمغادرة البلاد واجبرهم على اجتياز الحدود !

صورة التحرش العسكري بالسلطات الماليزية وتتهددها بشر مستطير من حرب العصابات ، والذين يتولون كبر هذا التحرش انما افزعهم ان تقوم في جوارهم وعلى مسمع ومرأى من المقهورين في آرائهم الضائقين في معاشهم — بلد ينعم اهلها بالسياسة المستقرة الآمنة والاقتصاد الثابت المزدهر ، او انهم يريدون ان يتمادوا في سياسة المغامرات الخارجية التي يطمعون ان يلهوا بها الناس عن التأمل في واقعهم الداخلي المرير .

ودولة ماليزيا الاتحادية الناشئة يغلب عليها الطابع الاسلامي ، وفي كثرة اهلها حرص قديم على تقاليد الاسلام ، ودستور الاتحاد ينص على ان الاسلام هو دين الدولة الرسمي ، فلا غرو ان بعض العناصر هناك لم ترض عن مقام الدين الاسلامي في الدستور ، ومن وراء هؤلاء انبرت الصحافة والدوائر التبشيرية العالمية تعترض كذلك هذه الفقرة المنصوصة .

ومن طرائف ما نقلته الاخبار هذا الشهر ، مما يصور الروح الاسلامية في الاتحاد الجديد ويعزز الامل في مستقبله، ان القانون البروني يجعل تقديم الخمور للمسلمين جرما يعاقب فاعله بالغرامة ، وان قانون الملايو يحرم الخلوة بين المسلم والمسلمة ويخول السلطات حق القبض على من يقع في هذا الفعل المحظور .

المسلمون في الاتحاد السوفياتي والصين

ترددت في موسكو روايات عن اصطدام وقع بين حرسي الحدود الروسي والصيني وذلك على حدود ولاية سنكيانغ حيث يتنازع الطرفان ، ومبعث النزاع ان نحو خمسين الفا من اهل القبائل الصينية — وكل هؤلاء من المسلمين — قد لجأوا الى روسيا في العام المنصرم . وتدعي الصين بلسان صحفها واذاعتها الرسمية ان هذه الالوف من المسلمين انما حملهم الروس الى عبر الحدود ، وان الروس قد سلكوا في سبيل ذلك شتى الوسائل الهدامة وانهم اثاروا بذلك فتنة اخرى لم يعهد مثلها خطرا على العلاقات بين البلدين . بينما تزعم روسيا ان هؤلاء انما هاجروا من جراء الجوع والاضطهاد الديني دون ادنى ايعاز من السلطات الروسية .

ويعلق مراسل التايمز البريطانية (٦٣/٩/٧) ان الهجوم الصيني كان — في لهجته وفحواه — اعنف ما وجهته الصين وروسيا ، وان هذه الحادثة قد قضت على كل امل في عودة المياه الى مجاريها بين قادة البلدين . ويورد كاتب الاوبزرفر البريطانية كذلك (٦٣/٩/٨) ذكرى فرار آلاف من نفس

وشعبة النشر والدعاية ، وشعبة التربية ، وشعبة الاعمال الخيرية (المستشفيات القائمة والمتنقلة واغاثة المنكوبين بالحريق والفيضانات ومساعدة اليتامى والايامى والطلاب المساكين) وشعبة نقل كتب الجماعة الى اللغات الحية في العالم ، وما اليها من الشعب الاخرى .

كما ان من برنامج المؤتمر اقامة معرض يلقي الاضواء على تاريخ الجماعة الاسلامية منذ تأسيسها الى هذا اليوم ، ودعوتها ومنهاجها للعمل ، ونشاطها في حقل الدعوة في انحاء العالم وفي الصحافة المحلية والخارجية وما لها من الاعمال المنوعة والاساليب المختلفة في نشر الدعوة في ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والتعليم .

***

وقد نقلت الانباء خبر انعقاد هذا المؤتمر الذي حضره اكثر من عشرة آلاف ، كما نقلت ان بعض عناصر الشر ومثيري الشغب قد حاولت ان تقلب المؤتمر الحاشد الى مأساة ، وان رصاصة فاجرة انطلقت حين وقف سماحة الاستاذ المودودي ليلقي خطابه ، ولكن عناية الله دفعتها عنه فنجا مما اريد به من سوء ، وان كان قد سقط ضحيتها عضو عزيز من اعضاء الجماعة الاسلامية نسأل الله ان يتقبله في الشهداء ويتغمد روحه بواسع الرحمة والرضوان .

وأملنا في حكومة باكستان ان تولي التحقيق في هذا الحادث الخطير ما هو جدير به من رعاية كاملة للضرب على يد كل عابث وللحفاظ على امل المسلمين في باكستان شعبا وحكومة .

* صرح سفير تركيا في بودابست بعد زيارة قام بها لمسجد مدينة بكس (PECS) في هنغاريا أن عمارة هذا المسجد من الداخل سوف تصبح في القريب على هيئة العمارة في مساجد تركيا الشهيرة ـ وفهم من ذلك ان الحكومة التركية سوف تتولى التعمير على نفقتها وباشرافها. وهذه مأثرة كريمة نذكرها بالتقدير سائلين الله ان تكون من بوادر الخير المؤمل من قديم ...

ومما يجدر ذكره ان هذا المسجد احد الآثار الاسلامية الباقية من ايام الحكم التركي في هنغاريا ، وواحد من مسجدين هما كل ما بقي من سبعة عشر مسجدا بناها الاتراك المسلمون في انحاء البلاد، وانه لم يفتح للزوار الا في السنة الماضية بعد ان رات الحكومة ان تصلحه من الخارج وتسمح بزيارته للسواح !

واذاع راديو موسكو ان حرس الحدود الصيني اطلق النار على المسلمين قرب الحدود ، وقد وصلوا الى الاتحاد السوفياتي في حالة يرثى لها من الاعياء والجوع .

وهكذا لم يعد هناك شك في ان المسلمين يعانون ضغطا شديدا في الصين الشعبية ـ خاصة في اقليم سينكيانغ على الحدود الروسية .

اما في روسيا فقد نشرت مؤخرا جريدة « العلم والدين » الروسية مقالا تطالب فيه باستئصال الدين الاسلامي من تادزخستان وآسيا الوسطى

والجدير بالذكر ان الحكومات العربية تدرس بعض المقترحات المقدمة من عدد من اعضاء الجامعة العربية لتقديم احتجاج جديد للامم المتحدة بسبب استئناف حملة الاضطهاد ضد الدين الاسلامي في روسيا .

في باكستان

كنا قد تسلمنا هذه الرسالة من لاهور ، عاصمة غربي باكستان :

تعقد الجماعة الاسلامية في باكستان مؤتمرها السنوي في لاهور ، عاصمة غربي باكستان ـ وذلك هو اول مؤتمر سنوي للجماعة ينعقد في باكستان بعد رفع الحكم العرفي وينتظر ان يحضره مندوبون من انحاء باكستان بما فيهم اعضاء الجماعة وانصارها ومؤيدوها .

وسيستغرق المؤتمر اربعة ايام ، يلقي فيها الاستاذ ابو الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية عدة محاضرات يستعرض فيها اوضاع البلادالراهنة والتيارات الفلسفية التي تعمل عملها في المجتمع الباكستاني كما يبين للعاملين للحركة الاسلامية الخطط التي يجب ان يرتكز عليها نشاطهم في صدد القيام بعمل جدي للاسلام .

وكذلك يلقي غيره من زعماء الجماعة كلماتهم ومحاضراتهم في مواضيع اسلامية بما فيهم نواب المجالس النيابية في باكستان الذين فازوا فيالانتخابات الاخيرة الحاصلة تحت الدستور الجديد ولهم في تلك المجالس دور خطير اثار ضجة كبرى في باكستان في سائر الاوساط .

وسيقدم الامين العام للجماعة تقريره عن الاعمال التي قامت بها الجماعة في هذه الفترة بواسطة مختلف شعبها من شعبة الموارد المالية ، وشعبة دار العروبة للدعوة الاسلامية ، وشعبة الامانة العامة ، والمكاتب الادارية ، وشعبة الانتخاب ، وشعبة الشؤون البرلمانية ، وشعبة العمال ،

رسالة الانسانية للشرق والغرب !

لسماحة الاستاذ السيد ابي الحسن علي الحسني الندوي

(محاضرة القيت في نادي الاتحاد لجامعة لندن في ٢٣ من جمادي الاولى سنة ١٣٨٣ هـ ١١ من أكتوبر عام ١٩٦٣ م في حفلة حضرتها نخبة من طلبة الجامعة والمشتغلين بالبحث والدراسة في لندن) .

« رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي » .

سادتي وسيداتي !

لقد اثر عن الشاعر الانجليزي الكبير رديارد كبلنج انه قال :

« الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولا يلتقيان » .

ان هذه الكلمة وان صدرت عن اديب مات في فجر القرن العشرين ، ولكنها فكرة تغلغلت في احشاء الشرق والغرب قديما ، وتأصلت جذورها في ادبها وفلسفتها ، وقد تسبق الافكار والمشاعر ، وتلعب دورها في المجتمع وميوله وعواطفه ، فيأتي أديب كبير ، هو لسان حال المجتمع فيعبر عنها في اسلوب ادبي قوي ، او شعر بليغ رنان ، فيرسلها مثلا سائرا ويجعلها كلمة باقية في اعقابه يرجعون اليها في جميع الادوار ، ويتفنون بها في جميع الامصار .

لا اعرف فكرة او كلمة ادبية جنت على مصلحة الانسانية ووحدتها ، ومناهج فكرها مثل ما جنت هذه الفكرة ـ فكرة توزيع الاسرة الانسانية الواحدة بين الفصيلة الشرقية والفصيلة الغربية ـ ومثل ما جنت هذه الكلمة التي تتراءى كلمة وادعة بريئة ، او حقيقة علمية تاريخية ، فقد اعتاد الناس في الشرق والغرب ، ان ينظروا الى الشرق والغرب دائما كمعسكرين معاديين متنافسين لا يلتقيان ابدا ، وكضرتين متخاصمتين لا تجتمعان ابدا ، فان التقيا فعلى صعيد الحرب والقتال ، وان اجتمعتا فلتذكر كل واحدة منهما مثالب الاخرى ، وتتبع عوراتها وتشفي نفسها .

هكذا ظل الشرق والغرب قرونا طويلة ، ايها السادة ! لا يعرف احدهما الآخر الا معرفة ضئيلة سطحية ، تعتمد على مواضع الضعف والنقص ، أكثر مما تعتمد على مواضع القوة والجمال ، ويعامل كل واحد منهما الآخر بشك او حذر ، وباحتقار وكراهية .

وكان اول تعارف الغرب بالشرق من قريب في الحروب الصليبية ، وكانت الفكرة التي تسيطر على الزاحفين الى الشرق في هذه الحروب ،

والروح التي كانوا يحملونها والروايات التي سمعوها وصدقوها عن المسلمين وعقائدهم واخلاقهم والتي دفعتهم بحماسة الى ساحة القتال لانقاذ الارض المقدسة من براثن الوحوش الوثنيين ـ كما قيل لهم ـ والجو المظلم الرهيب الذي يسود دائما على ميدان القتال ، كل ذلك كان لا يسمح بفهم المنافس المناضل وتقدير محاسنه ومواهبه ودراسة عقيدته وخلقه ، والتبادل الحر الكريم في المنافع والمصالح ، الا أن الحروب الصليبية ـ كما هو مقرر في تاريخ الحضارة ـ لم تخل من الفائدة ، وقد قصرت بفضلها الفجوة الواسعة بين الامتين ، وبين القارتين ، ان لم تستطع بطبيعة الحال أن تملأها .

وكان أول تعارف الشرق بالغرب من قريب ، يوم مد الغرب يده القوية الحديدية ـ بدافع المصالح الاقتصادية والسياسية ـ الى الشرق ، وبسط نفوذه وسلطانه على اقطاره ، واحدا بعد آخر في القرن التاسع عشر ، وزحف اليه بحضارته وصناعته ، وعلومه وثقافته ، واساليب حكمه ، وبخيره وشره ، واصابت الشرق المتخلف في العلوم العصرية ، والصناعة الحربية اولا دهشة الفتح التي منعته فترة طويلة عن فهم الغرب الفهم العميق ، والافادة مما برع فيه وتفوق ، ومما كان يفيد الانسانية في سيرها ، ومنعه كذلك ـ وأرجو عدم المؤاخذة ـ ما حمله الغرب معه من ثمرات الحضارة المادية وهي في أوج قوتها وزهوها ومما لا تخلو عنه حضارة ضعف فيها سلطان الدين ، ومنعه كذلك ـ وأرجو عدم المؤاخذة مرة ثانية ـ ما اتسم به الحكام الاوربيون من الشعور الزائد بالسيادة وكرم العنصر ، وما كان يصدر منهم احيانا كثيرة مما لا يتفق مع مبدأ احترام الانسانية وروح الديمقراطية التي عرفوا بها ودافعوا عنها في بلادهم دفاعا مجيدا ، والمفتوح الذي كان سيد البلاد بالامس رقيق الشعور مرهف الحس دائما .

ثم أصيب الشرق الضعيف بالاستسلام والرضوخ للغرب الفاتح القوي ، والخضوع الزائد لقيمه ومفاهيمه ، والتقديس لمظاهر مدنيته واساليب حياته ، والتقليد الذي افقده شخصيته وكرامته ، والسير في ركاب الغرب ، والاعتماد عليه في جميع مرافق الحياة ، والعيش على هامش الامم وفي مؤخر القافلة ، وقد منع ذلك الغرب من ان ينظر الى الشرق نظرة احترام ومساواة ، فضلا عن ان ينظر اليه نظرة اكبار واجلال ، ويتوقع منه توجيها وارشادا او ينتظر منه انتاجا جديدا وابتكارا ، وكاد الشرق يذوب في الغرب وينصهر فيه .

واخيرا طفت على الامم الشرقية فكرة القومية التي لجأت اليها الامم الغربية كبديل عن الجامعة المسيحية التي كانت تربطها الكنيسة الرومانية في

القرون الوسطى ، وعن العاطفة الدينية التي كانت تثير الحماس فيها ، وقد منعت هذه الفكرة الامم الشرقية ـ التي كانت تحمل الرسالات السماوية في زمن من الازمان ـ عن ان تمد يد المساعدة من جديد الى الغرب ، كما مدتها في الزمن الماضي ، وكان امر الامة الاسلامية في ذلك اعجب ، فقد كانت لا تزال امينة الرسالة السماوية ، أمة اخرجت للناس للهداية والدعوة الى الخير ، فقد تشاغلت ـ بفعل هذه الفكرة الضيقة ـ بنفسها وبمصالحها القومية ، وانحصرت في دائرة ضيقة من حدود جغرافية او لغوية او عنصرية، وهكذا نضب ـ او كاد ينضب ـ المنبع الثري السخي ، الكريم القديم الذي كان مصدر الاشعاع العالمي في كل دور من أدوار التاريخ .

وجاء دور الاستشراق والمستشرقين في الغرب ، وكان الامل قويا في ان يكونوا قنطرة بين الشرق والغرب ، وانهم سيملؤون هذه الفجوة الواسعة الظالمة بين الاسرتين الشقيقتين ويرفعون الجفوة التي انشأها الجهل والبعد بين اعضائهما ، وينقلون افضل ما عند الشرق من تعاليم النبوة ومبادىء الاخلاق ، وسير الانبياء والشخصيات الدينية ، وما انتجته من ثروةباهرة ، وتشريع مدهش ، وتراث رائع ، وقد قاموا فعلا بدور عظيم في احياء الكتب الاسلامية المطمورة التي لم تر الشمس والنور من قرون ، وفي تصحيحها ومقابلتها بالاصول ثم في نشرها ، والفوا كتبا لا يستهان بقيمتها العلمية ، ولا يستطيع احد رزقذرة من الانصاف وحبالعلم ان ينكر روحهمالعلمية ، ولحملهم للمشاق ، وتفانيهم في مهمتهم ، ودقة نظرهم ، واسلوبهم العلمي ، ولكن الشرقيين ، وخصوصا كثيرا من المسلمين يشعرون بان كثيرا منهم كانوا مدفوعين بالروح الدينية اكثر من الروح العلمية ، وكان المحبون للعلم والحقيقة ينتظرون منهم تجردا عن العواطف والرواسب اكثر ، وشغفا بالحقيقة وارتيادا للحق ، وجراة في الاعتراف به أعظم ، وعلى كل فقد تقاصر الاستشراق على فضله الكبير ومآثره الكثيرة عن ان يملأ هذا الفراغ ، ويقدم الى الغرب ـ الذي كثر فيه الباحثون عن الحقيقة والمتبرمون من المدنية المادية الجافة في العصر الاخير ـ صورة صحيحة وضاءة مشرقة للاديان الشرقية عموما ، والدين الاسلامي بصفة خاصة ، الذي يعتبره المسلمون الرسالة السماوية الاخيرة الخالدة التي بلغت فيها تعاليم النبوة وتوجيهات السماء طورها الاخير النهائي ، والتي توافق طبيعة هذا العصر ، ولا تشير بالمدنية الى الوراء كما يظهر في بعض الديانات ، بل الى الامام ، وتجردها من الافراط والتفريط ومن الجمود والتطرف ، وتسبكها بقوتها وحيويتها العجيبة سبكا جديدا يلائم حاجات المجتمع الجديد .

ومهما كانت الاسباب والعوامل ، ومهما كانت صالحة للمناقشة والبحث العلمي ، فقد ظل الشرق بعيدا عن الغرب ، مستقلا بنفسه

ورسالته ، وظل الغرب بعيدا عن الشرق مستقلا بنفسه ورسالته ، لا يلتقيان الا تحت نقع الشبهات والظنون ، والاحن والاحقاد ، لا يلتقيان لصالح الانسانية المشترك ، ولبناء المدنية المثلى ، ولا يتبادلان ما يختصان به من مواهب الهية وعلوم مكتسبة ، واستعدادات فطرية ، وما انتجاه وابدعاه على مر الدهور والاعصار من علم وفلسفة ، وأدب وحكمة الا نادرا وفي دائرة محدودة .

ظل الشرق يعمل في مجاله الطبيعي ، ويدافع في فطرته التي اختمرت مع الدين ، توقظها النبوة الكريمة حينا بعد حين ، وتغذيها الدعوات الدينية والشخصيات الروحية القوية باتصال واستمرار،وكان موضوعه «الانسان» وكان موضوعه هذا الانسان اكثر مما حول الانسان وتحت قدمه وفوق راسه ، عني به الشرق باخلاص وجد ، وجاهد فيه جهادا كبيرا وهب له جميع مواهبه ، وصب في هذا الموضوع ذكاءه ، وعبقريته ، وقوة ارادته ، عني باكتشاف اسراره التي لا نهاية لها ، وسبر غوره الذي لا قرارة له ، واشعال مواهبه واثارة قواه التي لا تعدلها قوة في هذه الارض ، وتنظيم ميوله واتجاهاته ، وتهذيب اخلاقه التي لا صلاح للبشرية بغير صلاحها .

جاء الانبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وجاء في آخرهم النبي العربي الامي صلى الله عليه وسلم ، فعنى بهذا الانسان وتربيته واثارة كنوزه ودفائنه ، وفتح فيه عين البصيرة التي يدرك بها خالقه ورب هذا الكون الواسع العجيب ، ويستمد بها النور والحياة ، والعلم ، والحب ، والثقة ، والعزم ، والطمأنينة ، والرضا ، ويعرف بها مصدر الحياة والقوة والتنظيم في هذا الكون ، فيعثر بذلك على المركز الذي يربط به الوحدات المبعثرة في هذا العالم ، فيتراءى له هذا الكون وحدة لا تبعثر فيها ، ولا تناقض ، ولا فوضى فيها ولا تنافس ولا توجد فيه مناطق مستقلة متناكرة متحاربة ، انما هي مملكة منظمة واحدة ، تديرها إدارة قاهرة رحيمة واحدة ، « الا له الخلق والامر » ، « رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا » يتخلص بذلك عن جميع اقسام الوثنية والثنوية، وعن الاوهام والخرافات، وسلطان الاساطير والروايات ، والتقاليد والعادات ، ويترفع عن الخضوع بغير فاطر الكون ومدبره ، حجرا كان ، او شجرا ، بحرا كان او نهرا ، شمسا كانت او قمرا ، ملكا كان او بشرا ، انثى كانت او ذكرا ، « رب السماوات والارض فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا »

وفتح فيه النافذة التي نظر منها الى نفسه وجنسه ، فوجده خليفة الله في هذا العالم ، نفخ فيه من روحه ، وجعله موضع سره ، ومستودع امانته ، خلقه في احسن تقويم ، وخصه بأفضل تكريم ، وخلع عليه لباس

النيابة والوصاية ، والبسه تاج الكرامة والامامة ، وخلق له ما في الارض جميعا ، وخلقه لنفسه ، واسجد له ملائكته فحرم عليه بذلك السجود والخضوع لاي كائن مخلوق « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » ، « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

ونظر منها الى بني نوعه ، نظر منها الى الاسرة البشرية المنتشرة في مشارق الارض ومغاربها ، فوجدها اسرة موحدة كنفس واحدة ، تلتقي على اب واحد وام واحدة يعتبرها — في ضوء تعاليم النبوة — عيال الله ، ويعتقد ان احب الخلق الى الله انفعهم لعياله . ووجدها تحمل روحا ونفسا وشعورا ، يألم كل عضو منها كما يألم الآخر ، ووجد ان التمييز بين اعضاء هذه الاسرة على أساس اللون ، أو الوطن ، أو الشعب ، او الفقر ، او النسب ، تراث جاهلي ، وقدسمع هذا النبي الكريم مرة يقول لربه في ظلام الليل خاليا : « أنا شهيد ان العباد كلهم أخوة » وأخرى يقول في ضوء النهار وامام الجمع الحاشد : « يا أيها الناس كلكم من آدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لابيض على أسود ، ولا لاسود على أبيض الا بالتقوى » ، « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

عني الانبياء — صلوات الله وسلامه عليهم — في عصورهم ومناطق دعوتهم ، وعني النبي العربي الامي — صلى الله عليه وسلم — في آخرهم بتربية هذا الانسان وتحريك مواهبه واستعداداته التي لم تبلغ الفلسفة او علم النفس او الاكتشافات الحديثة بعد الى نهايتها وقرارتها ، ثم عني بتنظيمها وتوجيهها الى صالح نفسه وصالح الانسانية ، واثار فيه رغبة غريبة ، ونهامة عجيبة لارضاء الرب والتقرب اليه ببذل النفس والنفيس ، والتفاني في حبه وطاعته ، وفي محبة خلقه وخدمتهم ، وازالة المكروه عنهم وما يضرهم في الدنيا والآخرة ، وايثارهم على نفسه ، ومحاسبة النفس الدقيقة ، ودقائق الاخلاص والاخلاق ، الدقائق التي لا يبلغ اليها ذكاء الاذكياء ، ولا يدرك كنهها علم العلماء ، والتي هي ادق من المعاني الشعرية ، والاخيلة البديعة في آدابنا ، ولا ترى بأدق مكبرة ، ولا تصور بأحدث آلة ، ووصل في غزارة الحب ، وقوة العاطفة ، ورقة الشعور ، ودقة الاحساس ، وشفافية الروح ، ونبل الاخلاق وكرامة النفس ، والتجرد عن الانانية والزهد في زخارف الدنيا على المقدرة ، وسمو الفكر ، وعلو الهمة ، وشدة الشوق الى لقاء الرب ، وفي علم الذات والصفات الدقيق العميق ، ما لا يتصوره انسان ، الا اذا عاش مدة في سيرهم واخبارهم ، ونزل في اعماقهم واغوارهم ، فكان « الانسان » مأثرة النبوة الكبرى ، والحقل الذي

تعهدوه وبذروا فيه البذور الكريمة فاتى باكبر حاصل ، وافضل زرع .

ان الانبياء في الشرق ، ايها السادة ! لم يعنوا باكتشاف القوى المودعة في هذا الكون وتسخيرها واستخدامها كثيرا ، ولا باختراع الآلات والوسائل عناية كبيرة ، انما كان جل عنايتهم تربية الانسان وايجاد الارادة الخيرة والدوافع الفاضلة فيه ، وتحديد الغايات الصالحة له ، والثروة الطبيعية او الصناعية كما تعلمون خاضعة دائما لارادة الانسان واتجاهه وغاياته ، فلما وجدت في الانسان الارادة الخيرة ، والدافع القوي الفاضل ، وعرف الانسان الغاية الصالحة التي يجب ان يسعى لها ، استطاع ان يعمل بثروته المحدودة المتواضعة ، وبالآلات والمرافق المحدودة الضعيفة ـ التي وصلت اليها المدنية والعلم في عصره ـ اعمالا عظيمة لم تتوصل اليها المدنية الى هذا العصر ، وخدم بها الانسانية وبني نوعه خدمة لم يوفق لها كثير ممن ملكوا ثروة ضخمة من الآلات والوسائل ، ذلك لانه اذا وجدت الارادة القوية ، المخلصة الجادة ، اكتشفت المجهول ، وابدعت الوسائل وتغلبت على الصعوبات ، وشقت طريقها في صخور الجبال واحشاء البحار ، واذا فقدت ضاعت الوسائل ، وتعطلت الآلات ، وحبطت جهود المكتشفين والصناع ، ان الجوع اللاذع والظمأ القاتل ، وحنان الام ، ولوعة الحب ، وشدة الشوق لم تكن في عصر من العصور في حاجة الى علم كبير وآلات كثيرة ، ولقد عرفت في كل مكان ، وفي كل زمان كيف تقضي حاجاتها ، وكيف تصل الى غايتها .

وقد أوجد الانبياء بقوة شخصيتهم وتأثير تربيتهم رغبة في الانسان يشعر معها بانه مدفوع الى تحقيقها ، كما يشعر الجائع ، والظمآن ، والام الحنون ، والمحب العاني ، فاكتشف الطرق الموصلة اليه والوسائل الضامنة له ، وكانت كافية في عصره الذي يعيش فيه . وهكذا ايها السادة ! وجدت المدنية الفاضلة التي تمتع فيها الانسان باكبر قسط من الراحة والسلام ، والعزة والكرامة وكانت مدنية محدودة بسيطة ، لا تعقد فيها ولا غموض ، قابلة للتوسع والتقدم في المستقبل على اساس صالح سليم .

وجاء دور نشاط الغرب وانتاجه ونهضته ، وقد ضعفت صلته بالدين والاخلاق لسوء تمثيل من تزعمها واحتكرها من العلماء ورجال الدين زمنا طويلا ، ولضعف هذه الصلة العميقة ولضغط الحاجات الاقتصادية والعوامل السياسية ، ولعنف « التنازع للبقاء » في هذه الرقعة المحدودة الاوربية ، اتجهت عناية الغرب ـ بدل الانسان ـ الى بيئة الانسان ومحيطه ، وبذل النفس والقلب الى آفاق الطبيعة الفنية بالقوى والاسرار ، والى المعادن والمناجم ، وعلوم الكيمياء والفيزياء ، والرياضة والهندسة ، والصناعة والميكانيكا ، وقد جرت سنة الله ان يؤتي كل انسان ما طلبه وسعى له ،

ويسخره له ويمده فيه ، والقرآن يقول : « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا»، ويقول : «وان ليس للانسان الا ما سعى، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » . فصار الغرب يقطع اشواطا واسعة في علوم الكون والطبيعة والفنون الرياضية والهندسية ، ويكتشف سرا بعد سر ، ويصل الى فتح بعد فتح ، حتى وصل الى ما وصل اليه في العصر الحديث مما لم يكن الانسان مهما اوتي من الذكاء في القرون الماضية يحلم به أو يتخيله ، ومما لا يحتاج الى الشرح وضرب الامثال في هذا المكان الذي يعتبر بحق زعيما من زعماء العلم الحديث والمدنية الغربية ، وعاصمة من عواصمها الرئيسية ، وهذه الجامعة الموقرة التي اتشرف بالكلام فيها قد ساهمت مع شقيقاتها في تكوين هذا العلم ، وتوسيعه وتهيئة الاسباب لهذه الفتوح المدهشة في مجال الطبيعة والصناعة ، فلا حاجة الى الاطالة في هذا الموضوع .

لقد تهيأت هذه الاسباب وهذه الوسائل ، وكانت نعمة من الله لا يستهان بقيمتها وفضلها ، وتضخمت وتكدست ، وكانت لغاية واحدة مائة وسيلة وآلة ، وكل فيها الفناء الكبير ، والقوة الهائلة ، والسرعة المدهشة ، وكانت أقل منها كافلة لسعادة البشرية وهنائها ورخائها واقامة السلام العالمي ، ونشر الحب والوحدة ، والتعارف والتعاون بين فروع هذه الاسرة المنتشرة في العالم ورفع الحواجز بينها ، وازالة السدود دونها ، يستطيع الانسان اليوم ان يمد يد المساعدة والبر والمواساة الى اقصى رجل في العالم ، ويسمع دقات قلبه وخلجات نفسه ، ويرى وجهه ويسمع كلامه . ويمنع الظلم — اذا أراد — وينصر المظلوم ، ويمير الجائع في صحراء افريقية ويغيث الملهوف في اقصى الصين ، وقد زال كل مانع كان سببه جهل الانسان وضعفه ، والذي كان يتعلل به القدماء الضعفاء ، وحدثت كل آلة يحقق بها الانسان ارادته ، ويصل بها الى غايته في اقرب وقت واقل جهد ، فلا عذر لطالب خير ، ومحب انسانية ، ومريد سلام ، ولا عذر لفرد ولا لمجتمع ، ولا لحكومة .

لقد كانت هذه الوسائل كافلة بأن تحول هذه الدنيا المليئة بالاكدار والاخطار ، المثخنة بالجراح الى جنة ارضية ، لا نصب فيها ولا لغوب ، ولا خوف فيها ولا حزن ، ولا حرب فيها ولا عداوة ، ولا فقر ولا مرض ، ولكن هل تحقق ذلك ، وهل زال الخوف والقلق ، وهل انتهى الفقر والبؤس ، وهل انقرض الظلم والهمجية ، وهل ساد السلام والاخاء ، وهل انتشرت الثقة بين افراد الاسرة الانسانية ، وهل زال شبح الحروب المخيف ، ومات عفريتها الراعن ؟ انني لست في حاجة الى أن اقف وانتظر جوابكم ، فان

هذه المدينة الهائلة قد شهدت حربين طاحنتين مدمرتين عالميتين، وساهمت في نتائجها وويلاتها ، ونحن كلنا نعيش في عصر الذرة وهولها ، وقد ملأ المفكرون والكتاب في هذا البلد المكتبة الحديثة بالكتب التي تصور انحراف هذه المدنية وشقاء اهلها بها ويندبون فيها التفسخ الخلقي، وتحلل الروابط، وتفكك الاسر ، وانتشار القلق والاضطراب وتسلط الخوف والذعر ، وفي ما كتب ويكتب كفاية وبلاغ .

لماذا كانت هذه النتيجة ايها السادة ! والوسائل بريئة ، والآلات صماء لا ضمير لها ولا اتجاه ، وهي صالحة مهيأة للخدمة والنفع في كل وقت اذا اراد صاحبها ومصرفها ، ان الجواب ليس سرا يكتشف او لغزا يحل ، وليس فيه امتحان ذكاء وتفكير ، والسبب ان الانسان لم يتقدم بقدر ما تقدمت العلوم ، وان الاخلاق والميول والاتجاهات لم تتقدم بقدر ما تقدمت الآلات والمؤسسات . بل اسمحوا لي أن اقول ان العلوم تقدمت على حساب الانسان وعلى حساب الاخلاق ، وان الآلات والمؤسسات تقدمت على حساب الميول والاتجاهات ، وعلى حساب الروح والقلب ، ذلك لان الغرب ــ مع الاسف الشديد ــ حصر نشاطه وذكاءه وقوة ارادته في المجال الخارجي ، وركز كل جهده وكرسه على العالم الخارجي ، وانصرف عن الانسان انصرافا كليا ، واذا اقبل عليه ــ في دائرة علم النفس او علم الاحياء ــ اقبل بفكر مادي محدود لا يتناول اغواره وخصائصه ، وايمانه وعقيدته ، واخلاقه ، ولم يتناول المصدر الذي يقوده ويوجهه ، ويمنعه من الشر ، ويدفعه الى الخير ، وذلك هو القلب الذي اذا صلح صلح الانسان واذا فسد ، فسد الانسان .

ومع الاسف اذا اراد الغرب أن يقبل على هذا القلب وينتفع به ويوجه به الانسانية لم يستطع ولا يجد الى ذلك سبيلا لانه فقد المفتاح الذي يفتح به هذا القفل ، والقفل لا يفتح بغير مفتاحه ، وعجزت صناعته الدقيقة ، ومصانعه الهائلة ، ونوابغه العباقرة عن ان يصنعوا له المفتاح الجديد ، او يكسروا له هذا القفل العنيد ، لانه قفل الانسانية ، لا قفل البنوك والمصانع ، ولا قفل الصناديق والخزانات ، لا يفتح الا بمفتاح الايمان، ومفتاح الايمان الذي اتحفت به النبوة الانسانية في الزمن القديم مفقود او مطمور في الغرب تحت ركام المدنية او انقاض المعابد من قديم .

ان شقاء الانسانية ، ايها السادة ! في انفصال الغرب عن الشرق ، وفي انفصال العلم عن الايمان ، وفي انفصال المؤسسات عن الاخلاق والغايات الصالحة . هذا الانفصال النكد الذي جر على مدنيتنا شقاء طويلا . والايمان تقدم وتضخم في الشرق قديما ، والعلم تقدم وتضخم في الغرب حديثا ، والايمان لا يزال ينتظر مرافقة العلم ، والعلم لا يزال ينتظر مرافقة

الايمان ، والانسانية تنتظر التقائهما وتعاونهما في بناء المجتمع الجديد ، وفي انشاء الجيل السعيد . ولا امل في السلام والسعادة الحقيقية ، الا بهذا الالتقاء المبارك والتعاون الكريم،وليست ثروة الشرق، ايها السادة الغربيون، والاخوان الاوربيون ، هي هذا النفط ـ الذهب الاسود ـ الذي تنقلونه الى عواصمكم لتتحرك به هذه المدنية بطائراتها ، وسياراتها ، ان ثروة الشرق ، وهديته ذلك الايمان الذي نبع وفاض في الشرق ، واخذتم منه نصيبا في بداية تقويمكم الميلادي ، ثم نبع وفاض بقوة هائلة ، قوة لا نظير لها في التاريخ في القرن السادس من تقويمكم ، نبع في ركن بعيد من جزيرة العرب ، ثم فاض في العالم وأروى الانسانية كلها ، ولا يزال في متناول يد كل شعب وكل فرد اذا صحت العزيمة ووجدت الجراة الخلقية ، ولا يزال جديرا قادرا على ازالة جميع المشكلات التي تعانيها هذه المدنية ، ويستطيع ان يفيض على هذه المدنية ـ بقوته وحيويته العجيبة ـ حياة جديدة ، ويمنحها قسطا جديدا من الحياة ، ونوعا جديدا من الرسالة ، ويحول هذه الآلات والمؤسسات وهذه العلوم والصناعات ، الى غايات رشيدة صالحة بناءة ، ويستخدمها في صالح الانسانية وفي بناء المجتمع الجديد ، المجتمع الذي يتطلع اليه هذا العصر ، وعليكم يقع يا ابناء الجزيرة البريطانية مسؤولية اكثر من كل بلد ومن كل حكومة ، فأنتم من اكبر رواد هذه الحضارة ، ولا تزال فيكم القوة الكامنة والحيوية الكافية لتستأنفوا حياة جديدة وتنحوا بتاريخكم نحوا جديدا ، واسمعوا الصوت السرمدي يقول : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

حج هارون الرشيد ، فبلغه عن عابد بمكة مجاب الدعوة معتزل في جبال تهامة : فاتاه هارون الرشيد فسأله عن حاله ، ثم قال له : أوصني ومرني بما شئت ، فو الله لا عصيتك ! فسكت عنه ولم يرد عليه جوابا ، فخرج عنه هارون ، فقال له أصحابه : ما منعك اذ سألك أن تأمره بما شئت وحلف أن لا يعصيك ! أن تأمره بتقوى الله والاحسان الى رعيته ؟ فخط لهم في الرمل اني أعظمت الله أن يكون يأمره ، فيعصيه ، وآمره انا فيطيعني !

(صفر في المائة) . ولكن وطن هذا المؤلف انكلترا التي هي احدى البلاد الاكثر تقدما في العالم الحديث ليس بعيدا جد البعد عن هذا فحسب ، بل ان الاقتصاديين في الغرب اعتبروا آراء هذا المؤلف بوجه عام متمردة ان لم يعتبروها مجنونة .

ومن المعلوم ان الاتحاد السوفياتي الشيوعي كان في اول الامر قد الغى التعامل بالربا في بلاده ، ولكنه تراجع فيما بعد بنفس الصفة المحزنة التي تراجعت بها الولايات المتحدة الامريكية في شأن الغاء شرب الخمر . وهاتان العمليتان الاصلاحيتان واجبتان . ولئن كانت المحاولتان منيتا بالفشل اول الامر فلا داعي للظن بعدم امكان تحقيق الاهداف عند محاولة ثانية مع تغيير اسلوب العمل . والتاريخ يؤكد لنا ان بلادا اخرى غير الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية قد نجحت في هذا السبيل . والمقصود بهذا التأكيد هو الاسلام حينما كان يضفي سلطانه على نصف العالم القديم من المحيط الهادىء الى المحيط الاطلسي . وان وصف هذه التجربة الاسلامية ليعود بفائدة كبيرة اليوم ضرورة ان المدنية الرأسمالية قد لفظت نفسها الاخير وان البحث يجري في طلب شيء آخر بما ان المادية الجدلية لا يبدو انها اتت بالسعادة بصفة عامة ، للبشرية .

تقديرات قرآنية

ان الاسلام لم يحرم الربا بالعبارات الاشد حدة والاكثر ضبطا فحسب (اذ ان القرآن يصرح في الاية ٢٧٩ من سورة البقرة إن الربا شبيه بمحاربة الله ورسوله) بل انه اتخذ بعض الاجراءات العملية مثل الاقدام على اقامة بعض المشاريع الضرورية لكيلا يظل الاصلاح الذي شرعه حبرا على ورق مثل الاصلاحات الاخرى المذكورة في تاريخ المدنيات الاخرى .

وبالفعل فان القرآن ــ فيما يتعلق بالمبادىء التي تقام عليها ميزانية الدولة الاسلامية ــ يدرج ، كما تنص عليه الاية ٦٠ الشهيرة من سورة التوبة ، في قائمة المستفيدين والذين يوهب لهم من بيت المال ، « الغارمين» المستثقلين بالديون او المتحملين واجبات باهظة (كالدية مثلا)

ومن المعلوم انه يوجد نوعان من المدينين :

١ ــ الذين لا يستطيعون بسبب الفقر المدقع وعدم الوسائل ان يؤدوا ما عليهم من القرض في أجل مقدر .

٢ ــ الذين لهم حاجات مؤقتة ولهم الوسائل ليؤدوا في وقت قصير المساعدة التي تلقوها على وجه الدين .

والآية التي اشرنا اليها المتعلقة بالميزانية تنص بصفة تامة على تقدير هذا التمييز ، وما عدا الغارمين (المستثقلين بالديون) فانها تتحدث على حدة عن الفقراء (ذوي الحاجة من المسلمين) وعن المساكين (ذوي الحاجة

بنوك القرض بدون ربا

للدكتور محمد حميد الله

الاستاذ بجامعة استنبول

ان اهمية القضايا الاقتصادية في المجتمع البشري معروفة . والقرآن لا يبالغ قط حين يؤكد ان حياة الجنس البشري نفسها وحياة مجتمع الناس انما تقوم عليها . وبالفعل فانه يتحدث عن « ... اموالكم التي جعل الله لكم قياما » (سورة النساء الاية ٥)

وفي هذه الدنيا لا يعيش الانسان في جنة يجد كل فرد فيها كل ما يشتهيه . بل بالعكس يجب عليه ان يعمل في هذه الدنيا ويتعب ليكسب قوته ويجب عليه ان يقوم بكفاح مرير في سبيل البقاء . والطاقات الفردية والظروف ، والفرص ، تقتضي ان ينجح البعض بينما الاخرون يفوتهم في بعض الاحيان ما هم في حاجة ماسة اليه . ومن هنا نشأ الاستقراض .

وقل ان يوجد في الناس من له رافة تدفعه الى قرض المعوزين من فائض ماله . وعلاوة على هذا فان التجربة شاهدة ان الذي يستقرض لا يفي دائما بوعده في رد القرض . ومن هنا نشأ الربا بل حتى « الربا اضعافا مضاعفة » ، والرهن ، والكفالة ، والتعهدات .

ومن المعلوم ان تاريخ الانسان طافح بحكايات المرابين عديمي الانسانية . ومن المعلوم من جهة اخرى ان الاديان في مجموعها تقريبا تحرم الربا . غير انه ما دام لا يوجد نظام لسد حاجات الافراد المالية دون مطالبتهم بفائدة فان الاغنياء سيستغلون هذه الحالة علنا او خفية لفائدتهم ويقومون بمعاملات ربوية .

وهناك تمييز ذو اهمية بلا شك بين الاستقراضات المنتجة وغير المنتجة . فان القروض التي تقدم للتجار او لاصحاب المصانع يجب ــ باعتبار المبادىء ــ ان تعود عليهم بفوائد معتبرة يمكنهم ان يقتسموها مع الذين اقرضوهم المال . ومن الواضح ان هذا ليس هو حال العاطل او المريض مثلا وهما في حاجة الى المساعدة لضمان معيشتهما . وفي البلاد المتقدمة توجد في عصرنا هذا ضمانات اجتماعية ووسائل قرض حسن تقوم بها الهيئات العمومية او الدينية او غيرها . ولكن فيما يخص القروض المدعوة بالمنتجة فانه لا يوجد بعد استعداد لالغاء الربا فيها . وحقا ان اللورد كينس الاستاذ بجامعة كامبردج الانكليزية قد اكد اخيرا في احد مؤلفاته انه « من الممكن ان تنسب جميع الآفات الاجتماعية الى الربا ، وبقدر ما يزداد مجتمع ما تقدما في المدنية والثقافة فانه ينقص عنده نصاب الربا في عين المقدار والتناسب بحيث انه في مجتمع مثالي سيكون المبلغ . ٪

بنك التعاضد المالي وتبادل المعونة

منذ اكثر من قرن برز هذا النظام الى الوجود في دولة حيدر آبـــاد الاسلامية في اقليم الدكن . وقد كانت البداية مفيدة ثم حصلت بعد ذلك تطورات جديرة بالاعتبار .

وبالفعل فقد كان يوجد هناك صوفي كبير اسمه السيد عمر القادري ، وكان له نفوذ عظيم على الجماهير اذ كان له عدد كبير من الاتباع (اصحاب الطريقة). فكان الناس يأتون اليه بالاموال لكي يكون له الخيار هـــو بنفسه في تعيين المستحقين الذين ينبغي التصدق عليهم بها . وبحكم عادة قديمة جارية كانت توهب كذلك جلود الاضاحي بمناسبة عيـد الاضحى على وجه الصدقة . وكان كثير من الناس يأتون اما بهذه الجلود وامـــا بقيمتها المالية الى هذا الشيخ الصوفي . وكذلك كان الامر في شأن زكـاة المال المدخر . وذلك لان مريديه واصحابه كانوا يعتقدون انه كان من السهل عليه اكثر من غيره من المتبرعين انفسهم ان يجد المستحقين للصدقة .

وبدلا من ان يهب هذا الرجل الصالح تلك الاموال للفقراء مباشرة فانـه انشأ مؤسسة مصرفية لقرض المال لذوي الحاجة بدون ربا مع مطالبتهـم برد القرض اقساطا صغيرة يقدم منها قسط في كل شهر . وذلك لانه كان يعتقد ان هذا المسلك يمكن ان يحفظ كرامة المستفيدين حفظا زائـدا كمـا انه يمكن ان يرفع مستوى الاخلاق العامة حيث ان ذلك وسيلة لازالـة التسول شيئا فشيئا .

ويضاف الى ذلك ان اصدقاءه المسلمين كانوا يستودعونه اموالهـــم المدخرة ويفضلونه على المصرف لان مصارف المدينة كانت حينذاك كلهـــا بايدي غير المسلمين . ومن الواضح ان التعامل بها كان يجري بالربـا . والتقوى تفرض عدم المشاركة باى حال في مثل هذه المشاريع . وكان شيخ الطريقة هذا يقدم قروضا من تلك الاموال المستودعة عنده ايضا ــ برضـا المستودعين ــ الى ذوي الحاجة لاجل قصير طبعا . وبهذه الكيفية كـان « رأس المال » في تداول مستمر .

ولا تزال هـذه المؤسسة موجودة تحت اشراف ابن المؤسس (السيـد محمد بادشاه القادري) وما زالت لديها مبالغ من المال معتبرة . ومن جهة اخرى فان هذه المبالغ في ازدياد سنة اثر سنة بسبب صدقات جديدة . غير ان هذه المؤسسة لم تكن هي المنظمة الوحيدة للقرض بدون ربـا في تلك البلاد. اذ انبعد الحرب العالمية الاولى بذلت حكومة حيدر آباد عنايتها هي ايضا لهذه القضية واسست شركات تعاضدية او تبادلية للغاية نفسها . وكانت هذه الشركات تسير كما يلي :

كان الموظفون باحد مكاتب الادارة العمومية او احد المصانع او غيـر

من غير المسلمين المقيمين بارض اسلامية) (١)

اما فيما يتعلق بالفارمين فان التاريخ يذكر انه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فتح في بيت المال (الخزانة العامة) قسم مصرفي للقروض بدون ربا لمن يقدمون تعهدات وكفالات لازمة ، وذلك فيما يتعلق بالديون المنتجة وغير المنتجة على حد سواء . ومن المعلوم ان اية حكومة تستطيع اكثر من اية منظمة اخرى حرة او خاصة ان تستغني عن الربا فيما تقرضه من المال ، لا سيما وان اموال الحكومة هي بالفعل ملك لجميع سكان البلاد ، ولا شأن للحكومة سوى التصرف في اموالهم لفائدتهم وباسمهم

واذا ما كانت الحكومات الاسلامية اليوم لا تقوم بهذا الواجب بل تهمل هذا الفرض المعين الذي اوجبه القرآن الكريم فان هناك وسائل اخرى يستطيع بها سكان البلاد انفسهم تحقيق نفس الغاية ، ونحن نقتصر على ذكر اثنتين من هذه الوسائل باختصار :

اوقاف للقروض بدون ربا

في كل زمان تعود الناس الاتقياء ان يتركوا ويحبسوا جزءا من اموالهم او كلها على وجه وصية لفائدة المعوزين . وتوجد قصة طريفة تتعلق بهذا الموضوع ذكرها عدد كبير من المؤلفين . فيروى على وجه الصحة انه عند غزو مدينة سوس في عهد الخليفة عمر اكتشف المسلمون قبر النبي دانيال ، وفي داخل الضريح كان يوجد كنز . وفي وثيقة كانت موجودة هناك كان مكتوبا الامر بان ذلك المال يجب ان يستعمل في سبيل قروض بدون ربا لذوي الاحتياج من الناس . فامر الخليفة بنقل الكنز الى بيت المال وتنفيذ الوصية حسبما هو مذكور في تلك الوثيقة .

ويذكر العالم المغربي المعاصر لنا الشيخ عبد الحي الكتاني في احد كتبه انه كان احد الاغنياء في قديم الزمان في بلاد المغرب خصص مبلغا عظيما من المال ليجعله حبسا ووقفا لوجه الله يصرف على سبيل القرض لمن هم في حاجة الى المساعدة وذلك بدون ربا على شرط ان يقدموا تعهدات برد المال المقروض . ويضيف المؤلف قائلا بانه بعد مرور عدة اجيال حدث ان عدم الكفاءة او عدم الامانة عند المتولين جعل ان راس المال المقروض لم يرد ولم يبق من هذا المشروع اى شيء .

وما عدا الوقف (الحبس) فانه يوجد كذلك امكان التعاون وانشاء المشاريع التعاضدية .

---

(١) وهذا هو الفرق بين الفقراء والمساكين على قول سيدنا عمر بن الخطاب (كما ذكره ابو يوسف والطبري) .

والامر الاساسي هو قضاء القروض بانتظام . وبما ان هذه الشركات كان يقع تنظيمها في مكتب اداري او في مصنع فان المدير كان يأذن بان تطرح من المرتبات وجوبا عند دفع الاجور تكاليف الشركة التعاضدية : اشتراك في الاسهم ، قضاء القرض ، والمغارم فيما اذا كانت . وكانت خزانة المكتب او المصنع تستعمل حتى هي بمثابة صندوق للشركة .

وكما كنا ذكرناه آنفا فان قضاء كل قرض كان يحدد له اجل ٢٠ شهرا، غير ان معنى هذا من الوجهة العملية هو سنتان (٢٤ شهرا) اذ انه بمناسبة العيدين السنويين (عيد الفطر وعيد الاضحى) لم يكن العمل جاريا بالمطالبة بقضاء القروض .

وبما انه كان في الامكان على الدوام اشتراك اعضاء جدد في الشركة ورفع قيمة الاسهم المشتراة فان الشركة كانت تزداد ازدهارا يوما فيوما عند رؤية المثال العملي والنفع الذي عاد الى من استهم في الشركة . وعند ارادة انهاء الاشتراك كان يشترط في بعض الشركات ضرب اجل حتى يدفع الى المستقيل حسابه المعتمد .

وبفضل ازدياد راس المال والرصيد كان يقام في بعض الشركات متجر تباع فيه نسيئة كل انواع البضائع التي يحتاج اليها الاعضاء وكانت الارباح توزع بين الموظفين (المستخدمين بالمتجر) والمساهمين (حسب قيمة اشتراكهم المدفوع) وصندوق الرصيد الاحتياطي للشركة .

صندوق النقد الدولي

وعند تطبيق هذا النظام نفسه على الحكومات بدلا من الموظفين الفقراء بالمصانع والادارات العمومية تتجلى صلاحيته بصفة هائلة لانشاء صندوق نقد اسلامي دولي تدفع فيه بدلا من بعض الفرنكات او الجنيهات ملايين منها . وبدلا من ان تدفع الحكومات اشتراكاتها وديونها في كل شهر فانها تستطيع ان تدفعها في كل سنة . وفي بضع سنوات بفضل « المساعدة الذاتية » سوف لا تبقى حاجة الى اللجوء الى المرابين ولا الى التسول لدى المثرين ، الامر الذي يضع اليوم قيودا للاستقلال الخارجي والداخلي على حد سواء .

الخلاصة

ان التاريخ الاسلامي يبين انه يوجد على الاقل ثلاث طرائق عملية لمحاربة الربا : تأميم القرض ، وضع الاوقاف في سبيل القروض بدون ربا، تأسيس شركات تبادلية تعاونية ترمي لنفس الغاية . وقد بينت التجربة ان الطريقة الاخيرة هي الاكثر نفعا والاسهل تطبيقا وانها تستطيع ان تسد حاجاتنا حتى في ايامنا هذه سواء في ذلك الافراد والحكومات .

ذلك يتكتلون في شركة تعاضدية . وكان كل عضو من اعضاء الشركة يشتري بعض الاسهم « من اسهم الشركة عندما يتسلم مرتبه الشهري . وكان من الواجب مبدئيا دفع مبلغ كل « سهم » بتمامه في ظرف ٢٠ شهرا . لنفرض مثلا انه لا يوجد الا عشرة اعضاء وان كل واحد منهم يشتري سهما واحدا مبلغه ١٢٠٠ فرنك سويسري فيكون محصول الشهر الاول ١٠٠ فرنك سويسري . وحسب القوانين الاساسية للشركة فان للعضو الحق في ان يستقرض حتى ما قيمته ضعف مجموع اسهمه (اي ٢٤٠٠ فرنك سويسري في هذه الحال) . ومن الواضح انه في مبدأ الامر لم يكن في الامكان ارضاء حاجات جميع الاعضاء في آن واحد . والمجلس التنفيذي الذي ينتخبه الاعضاء يجتمع ويقرر من هو الذي ينبغي ان يستفيد من هذا المبلغ الاول ، مبلغ ١٠٠ فرنك سويسري . ومن الممكن ان توجد طلبات عديدة ، فالمجلس يقرر لمن ينبغي ان تكون له الاسبقية .

ويجب على المستفيد ان يقضي الدين في ظرف ٢٠ شهرا ، ويجب عليه زيادة على هذا ان يقدم تعهدات بالقضاء . ويكون محصول الشهر الثاني ١٠٠+٥ من قضاء القرض الاول ، ويكون محصول الشهر الثالث ١٠٠+١٠ وبعض سانتيمات وعند نهاية سنة واحدة يكون مبلغ راس المال الحاصل من دفع عشرة اعضاء فقراء قد ارتفع الى ١٢٠٠ فرنك سويسري وفي مدة عشر سنين يكون المحصول ١٢٠٠٠ فرنك سويسري هو راس مال في تداول يسد قسما هاما من حاجات اعضائه .

وفيما يتعلق بمصاريف ادارة الشركة فان الاعضاء يدفعون في كل مرة مبلغا ضئيلا من المال ، ٠،١ ٪ (واحد في عشرة آلاف ، مثلا) عن كل سهم . وزيادة عن ذلك فان الذي يستقرض يدفع ٠،١ ٪ (واحد في الف) على انه حق من حقوق تسيير العمل اذ ان العمليات الحسابية التي تجري في كل شهر فيها تكليف عمل . وفي بعض الشركات كان قد قرر فرض مغارم (عقوبات مالية) فيما اذا حصل عدم الانتظام في اداء الدين ، وهذا ايضا كان يزيد دخل الشركة الذي كان يسمى « الرصيد الاحتياطي للطوارىء » . وكانت هذه المبالغ الضئيلة التي لم يكن الدافعون لها يشعرون بها تتراكم الى ان تصبح في زمن قصير جدا مبالغ معتبرة . فكان يصرف منها لشراء الدفاتر وغير ذلك من الحاجات .. غير انه في غالب الاحيان كان الموظفون يعملون تطوعا اذ لم يكن العمل يوجد سوى مرة واحدة في الشهر . وكانت الطوارىء التي يسددها الرصيد الاحتياطي مختلفة الانواع ، وفي ضمنها كانت تسدد الديون التي لم يكن قبضها في الامكان . وفي الشركات الكبيرة كانت الاتاوة التي يؤديها الاعضاء تمكن من مكافاة امين المال القائم بعمليات الحسابة .

محتويات هـذا العدد

في الجزائر	للدكتور سعيد رمضان	١
رسالة الانسانية للشرق والغرب !	للاستاذ ابي الحسن الندوي	٧
بنوك القرض بدون ربا	للدكتور محمد حميد الله	١٦
بين الحضارتين :		
الغربية والاسلامية (٢)	للاستاذ ابي الاعلى المودودي	٢٢
خاطرة : الحكم العملاق		٢٦
اندونيسيا المسلمة	للاستاذ قيس التميمي	٢٨
مكان المراة في التشريع الاسلامي	للسيدة نادرة شنن	٣٣
مسألة النفط في العراق	للدكتور محمد نزيه سليمان	٣٦
طرائف ، قطوف ، تأملات		٤٢
موقف العلم من الدين (٣)	للدكتور علي فؤاد باشكيل	٤٦
ندوتنـا :		
رسالة من يوغندا		٥٠
غيرة فتاة الموصل		٥١
تحية من نيروبي		٥١
استنجاد فتى من تركيا		٥٢
قلق : شعر	للاستاذ عمر بهاء الدين الاميري	٥٣
مشروع الدار الاسلامية للطباعة والنشر في جنيف ـ سويسرا		٥٤
واحة الاخاء في محنة الغربة :		
لقاء عزيز في جنيف		٦٥
رسائل كريمة من اخوة كرام		٦٦
النفوس المتعطشة للايمان		٦٩
مع العارفين : ابو حازم		٧٢
الاسلام .. في صحف اوربا		
حملة التشهير الآثمة على السودان	للاستاذ عثمان خالد مضوي	٧٤
في افق العالم الاسلامي :		
اتحاد ماليزيا		٨٣
المسلمون في الاتحاد السوفييتي والصين		٨٤
في باكستان		٨٦